



الكرسي الرسولي

قَدَاسَةُ الْبَابَا فرنسيس

المُقَابَلَةُ الْعَامَّةُ

18 مارس / آذار 2015

ساحة القديس بطرس

[Multimedia]

الأخوات والإخوة الأحباء، صباح الخير!

بعد أن تناولتُ مختلف أفراد الحياة العائليّة - الأمّ، الأب، الأبناء، الإخوة والأجداد - أريد أن أختتم هذه المجموعة الأولى من التعاليم حول العائلة بالحديث عن الأطفال، وذلك على مرحلتين: سأتوقّف اليوم عند العطية الكبرى التي يشكّلها الأطفال للبشريّة. وهذا أمر صحيح إنهم العطية الكبرى للبشريّة، ولكنهم أيضًا مُهمّشون لأنهم لا يسمّحون لهم حتى بأن يولدوا. وفي الأسبوع المقبل سأتوقّف عند بعض الجراح التي وللأسف تؤذي الطفولة. تعود إلى فكري صور العديد من الأطفال الذين التقيتُ بهم خلال زيارتي الأخيرة إلى آسيا: أطفال يفيضون بالحياة والحماس، ومن جهة أخرى أرى أنّ الكثيرين منهم في العالم يعيشون في أوضاع غير لائقة... في الواقع، يمكن الحكم على المجتمع من الطريقة التي يُعامل بها الأطفال، وهذا الحكم ليس فقط أخلاقيًا بل اجتماعيًا أيضًا، إذ يمكنه أن يبيّن إذا كان مجتمعًا حرًا أو عبدًا لمصالح دوليّة.

أولاً يذكّرنا الأطفال جميعًا، أنّنا كنّا، في سنوات حياتنا الأولى، متّكلين بالكامل على عناية واهتمام الآخرين. وابن الله لم يستثنى نفسه من هذه المرحلة. إنّه السرّ الذي تتأمّله في الميلاد في كلّ عام. المغارة هي الأيقونة التي تنقل لنا هذا الواقع بالأسلوب الأكثر بساطة وبشكل مباشر. إنّه لأمر غريب: فالله لا يواجه صعوبة في جعل الأطفال يفهمونه والأطفال ليس لديهم أيّ مشكلة في فهم الله. فليس من باب الصدفة أن نجد في الإنجيل بعض كلمات يسوع الجميلة والقويّة حول "الصغار". إنّ عبارة "صغار" تشير إلى جميع الأشخاص الذين يعتمدون على مساعدة الآخرين ولاسيّما الأطفال. على سبيل المثال يقول يسوع: "أحمدك يا أبت، ربّ السمّوات والأرض، على أنّك أخفيتَ هذه الأشياء على الحكماء والأذكياء، وكشفتها للصغار" (متى ١١، ٢٥) وأيضًا: "إنّكم أن تحقروا أحدًا من هؤلاء الصغار. أقول لكم إنّ ملائكتهم في السمّوات يشاهدون أبدًا وجه أبي الذي في السمّوات" (متى ١٨، ١٠).

فالأطفال إذا هم بذاتهم غني للبشريّة والكنيسة أيضًا لأنهم يذكّروننا باستمرار بالشرط الضروريّ للدخول إلى ملكوت الله ألا وهو عدم اعتبار أنفسنا مكتفين ذاتيًا بل أننا بحاجة للمساعدة والحبّ والغفران. وجميعنا بحاجة للمساعدة والحبّ والغفران...

يذكّرنا الأطفال أيضًا بأمر جميل آخر وهو أنّنا أبناء على الدوام: حتى وإن أصبح المرء بالغًا أو مسنًا، حتى وإن أصبح

والدأ وتسلم مركز مسؤوليَّة، فبالرغم من هذا كله يحتفظ بهويته كابن. جميعنا أبناء. وهذا الأمر يحملنا على الدوام إلى واقع أننا لم نأخذ حياتنا بأنفسنا بل نلناها. إن هبة الحياة الكبرى هي أول هدية نلناها. قد نخاطر أحياناً في العيش متناسين هذا الأمر، كما ولو كنا أسياد وجودنا ولكننا في الواقع نعتمد على الآخرين بشكل جذري. في الواقع إنه لدافع فرح عظيم أن نشعر أنه في كل مرحلة من الحياة وفي كل ظرف وحالة اجتماعية نحن أبناء ونبقى أبناء. هذه هي الرسالة الجوهرية التي يعطينا إياها الأطفال بحضورهم. بحضورهم فقط يذكروننا بأننا جميعنا أبناء!

ولكن هناك العديد من العطايا والغنى التي بإمكان الأطفال حملها للمجتمع والكنيسة. لكنني سأذكر بعضاً منها. يحمل الأطفال أسلوبهم في رؤية الواقع من خلال نظرة واثقة ونقية. فالطفل يملك ثقة عفوية بالأب والأم؛ ولديه ثقة عفوية بالله، بيسوع وبالعدراء. وفي الوقت عينه نظرتة الداخلية نقية لم يلوثها الخبث والازدواجيات ورواسب الحياة التي تحجر القلب. نعلم أن الأطفال يحملون الخطيئة الأصلية أيضاً وبأن لديهم أنانيتهم لكنهم يحافظون على طهارة وساطة داخلية. الأطفال ليسوا دبلوماسيين: يقولون بشكل مباشر ما يشعرون به وما يرونه، وغالباً ما يخرجون والديهم بما يقولونه. لكن الأطفال هم هكذا يقولون ما يرون، فهم ليسوا أشخاصاً ازدواجيين. فإنهم لم يتعلموا بعد علم الإزدواجية الذي تعلمناه نحن الكبار.

كما ويحمل الأطفال معهم أيضاً - في بساطتهم الداخلية - القدرة على قبول الحنان ومنحه. الحنان هو امتلاك قلب من "لحم" وليس من "حجر" كما يقول الكتاب المقدس (را. حز ٣٦، ٢٦). الحنان هو أيضاً قصيدة: إنه الشعور بالأشياء والأحداث، وعدم التعامل معها كأغراض نستعملها فقط لأننا نحتاجها... لدى الأطفال أيضاً القدرة على الإبتسام والبكاء. عندما أحمل البعض منهم لأعناقهم يتسمون، ولكن البعض الآخر يرون لباسي الأبيض فيخافون لأنهم يعتقدون أنني الطيب التي ليغفحهم فيكون... ولكن بعفوية! هكذا هم الأطفال! الإبتسام والبكاء: أمران غالباً ما "يكبلاننا" نحن الكبار لأننا لم نعد قادرين على الإبتسام والبكاء... غالباً ما تصبح ابتسامتنا اصطناعية بدون حياة، تفقد حيويتها وتصبح اصطناعية كابتسامة المهرج. الأطفال يتسمون بعفوية ويكون بعفوية وبالتالي يمكن للأطفال أن يعلمونا مجدداً الإبتسام والبكاء. ولكن ينبغي علينا أن نسأل أنفسنا: هل أبتسم بعفوية، بنضارة ومحبة أم أن ابتسامتي اصطناعية؟ هل لزلت أبكي أم أنني فقدت القدرة على البكاء؟ سؤالان إنسانيان يمكن للأطفال أن يعلمانا إياهما.

لأجل هذه الأسباب كلها يدعونا يسوع "لنعود للأطفال" لأنه "لمثل هؤلاء ملكوت الله" (را. متى ١٨، ٣؛ مر ١٠، ١٤). أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، إن الأطفال يحملون الحياة والفرح والرجاء، والمصائب أيضاً، لكن هذه هي الحياة. يحملون بالتأكيد أيضاً الهم والكثير من المشاكل أحياناً؛ لكن مجتمع مع هذه الهموم والمشاكل يبقى أفضل من مجتمع حزين وقاتم لأنه بقي بدون أطفال. وبالتالي فعندما نرى مجتمعاً معيناً يبلغ فيه معدّل الولادات واحداً في المائة يمكننا القول: إذاً إنه مجتمع حزين وقاتم لأنه بقي بدون أطفال.

كلمات قداسة البابا للأشخاص الناطقين باللغة العربية:

أرحب بالهجاج الناطقين باللغة العربية، وخاصةً بالقادمين من الشرق الأوسط. أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، الأطفال هم غنى للبشرية والكنيسة، لتعلم منهم الحنان والثقة العفوية بالله. ليبارككم الرب!

Santo Padre:

Rivolgo un cordiale benvenuto ai pellegrini di lingua araba, in particolare a quelli provenienti dal Medio Oriente! Cari fratelli e sorelle, i bambini sono una ricchezza per l'umanità e per la chiesa, impariamo da loro la tenerezza e la spontanea fiducia in Dio! Il Signore vi benedica!

Speaker:

أيها الإخوة والأخوات الأعزّاء، نختم هذه المجموعة الأولى من التعاليم حول العائلة بالحديث عن الأطفال، وذلك على مرحلتين: سأتوقّف اليوم عند العطية الكبرى التي يشكّلها الأطفال للبشرية، وفي الأسبوع المقبل سأتوقّف عند بعض الجراح التي وللأسف تؤدّي الطفولة. أولاً يذكّرنا الأطفال جميعاً، أننا كنا، في سنوات حياتنا الأولى، متّكلين بالكامل على عناية واهتمام الآخرين. كما وذكّرنا أيضاً بأننا في كلّ مرحلة من الحياة وفي كلّ ظرف وحالة اجتماعية نحن أبناء ونبقى أبناء. ولكنّ هناك العديد من العطايا والغنى التي بإمكان الأطفال حملها للمجتمع والكنيسة. يحمل الأطفال أسلوبهم في رؤية الواقع من خلال نظرة واثقة ونقية. كما ويحمل الأطفال معهم أيضاً القدرة على قبول الحنان ومنحه. لدى الأطفال أيضاً القدرة على الابتسام والبكاء: أمران غالباً ما "يكبلّاننا" نحن الكبار لأننا لم نعد قادرين على الابتسام والبكاء... وبالتالي ينبغي علينا أن نتعلّمهما مجدداً. لأجل هذه الأسباب كلّها يدعونا يسوع "لنعود كالأطفال" لأنّه "لمثل هؤلاء ملكوت الله". أيها الإخوة والأخوات الأعزّاء، إنّ الأطفال يحملون الحياة والفرح والرجاء. يحملون بالتأكيد أيضاً الهمّ والمشاكل أحياناً؛ لكنّ مجتمع مع هذه الهموم والمشاكل يبقى أفضل من مجتمع حزين وقاتم لأنّه بقي بدون أطفال.

©جميع الحقوق محفوظة 2015 – حاضرة الفاتيكان